

النظافة والصحة في الإسلام

علاء الدين معصوم حسن*

قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ وإن كنتم جنباً فاطهروا (المائدة، ٦). وقال عز وجل ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾. (الأعراف، ٣١). وقال رسول الله ﷺ (النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة). رواد الطبراني، وقال عليه الصلاة والسلام (الطهور شطر الإيمان). رواد مسلم. وفي حديث آخر (إن الله يظفح بحب النظافة). رواد الترمذي. ومن احترام الإسلام للفرد والمجتمع أنه حرم على من أكل ثوماً أو بصلاً أو ما شابه أن يحضر المجتمعات، لئلا يؤذي الآخرين، وقد أسقط الإسلام سنة الجماعة في المسجد عن تناول هذه المواد. وتأكيد الإسلام على النظافة في المأكول والمشرب والملبس له معناه وغايته وأثره في حياة الناس وصحتهم، وما انتشرت الأوبئة إلا بفقد هذا العنصر. قال تعالى ﴿وثيابك فطهر﴾ (المدثر، الآية ٤) وقال عز وجل ﴿إن الله يحب المطهرين﴾. (التوبة، ١٠٨).

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً تفرق شعره فقال (أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه). ورأى آخر عليه ثياب وسخة فقال (أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه؟). رواد الإمام أحمد. وقال ﷺ (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق). رواد السنة. وقال عليه الصلاة والسلام (رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين). رواد البخاري. وفي حديث آخر (اياكم والجلوس بالطرقات). قالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال عليه الصلاة والسلام: فإذا أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متفق عليه.

وتشريعات الإسلام تحقق للإنسان الوقاية الجسمية والنفسية قال ﷺ تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء، فإن لكل علم أهلاً يحسنونه، ويجب الاستماع إليهم، أما الدجالون الذين يقحمون أنفسهم فيما لا ينبغي لهم فلا يسوغ لمسلم أن يقصدهم أو يصدق مزاعمهم. ووضع الإسلام قواعد الحجر الصحي للأمراض المعدية. قال عليه الصلاة والسلام (إذا سمعتم بالطاعون يمرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم يمرض فلا تخرجوا منها). رواد الشيخان.

والمرض مصيبة أشد من الفقر، والصحة نعمة أفضل من الغنى والعافية عماد حياة الإنسان. قال عليه الصلاة والسلام (من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكانما حيرت له الدنيا). رواد البخاري. ومن أخطر الأمراض تهديداً لحياة البشرية في أيامنا هذه مرض الإيدز وما تزال وسائل الإعلام تنشط من التحذير من

عواقبه، وذلك بتجنب مواقع الفحشاء وفي أحدث الإحصائيات أن عدد المصابين بهذا المرض يزيد على ثلاثين مليوناً، قال عليه الصلاة والسلام (لم تظهر الفاحشة في قوم، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم). ابن ماجه. ولا ريب أن الأمم تضع بضائع أخلاق أفرادها، ولما كان الطيب من الطعام والشراب يعود على الإنسان بالصحة والعافية فقد أمر الله تعالى عباده بأكل الحلال الطيب واجتناب الخبيث الضار. قال تعالى ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه...﴾. (المائدة، ٩٠). والاجتناب أقوى من التحريم. وقال عليه الصلاة والسلام، (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام). متفق عليه.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نهى عن كل مسكر ومفتر. رواد أبو داود، وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما أسكر كثيره فقليله حرام). رواد النسائي.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (لعن الله الخمر، وشاربها، وساقياها، ومبتاعها، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وأكل ثمنها). رواد ابن ماجه. فالخمر أم الخبائث ومفتاح كل شر. وقرر الطب والعلم أن جميع المسكرات تؤثر على عقل الإنسان وتسبب له الأسقام وفقدان الذاكرة والاعتكاف والضياع والمخدرات تسوق مدميتها إلى ارتكاب أشنع الجرائم من نصب وقتل وتزوير الأمر الذي دفع معظم دول العالم إلى إنزال أقصى العقوبات بحق تجار تلك السموم.

ولقد وقف الإسلام موقفاً صارماً في هذا المجال قال تعالى ﴿ولا تلحقوا بآيديكم إلى التهلكة﴾. البقرة، ١٩٥. وقال عليه الصلاة والسلام (لا ضرر ولا ضرار) رواد مالك وأحمد.

وحذر الإسلام من مغبة النهم والشرهة قال عليه الصلاة والسلام (بحسب ابن آدم لقيمات) رواد الترمذي. والسلف الصالح «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون» (الذاريات، ١٧. لأنه من أكل كثيراً شرب كثيراً، ومن شرب كثيراً تعب كثيراً، ومن تعب كثيراً رقد كثيراً، ومن رقد كثيراً خسر كثيراً، قال تعالى ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾. الأعراف، الآية ٣١. وفي آية أخرى «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين». (الأسراء، ٢٧). ومر عليه الصلاة والسلام بسعد وهو يتوضأ فقال (ما هذا السرف؟) قال سعد: أوفي الضوء سرف؟ فقال عليه الصلاة والسلام (نعم وإن كنت على نهر جار). رواد أحمد. وأجمع الفقهاء على استحباب التسمية عند البدء بتناول الطعام، ويستحب الجهر بالتسمية ليكون ذلك تنبيهاً للغير ومن السنة أن يأكل المسلم ويشرب بيمينه وأن يأكل مما يليه كما يسن للضيف أن يدعو لأهل الطعام، فقد دعا رسول الله ﷺ لسعد بن عباد رضي الله عنه فقال (أكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة). وهكذا نجد حرص الإسلام على صحة الجسد ونقاء النفس كما نجد حرصه على الموازنة بين المادة والروح ليكون الإنسان ذا وعي عميق وإدراك دقيق «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين». آل عمران، ١٨٥.

* باحث - دمشق سوريا